

المقدمة

الحمد لله حقًا خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وصلاة دائمة متصلة على من لا نبي بعده إمام المتقين وسيد المرسلين بعثه الله رحمة للعالمين بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا فبلغ الرسالة ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور . اللهم صل وسلم على عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله الذي نشرت ذكره في الكتب السماوية ، والذي لم تقبضه حتى أقمت به الملة العوجاء ، ووهبت له كل خلق كريم ، وجعلت الهدى إمامه والإسلام ملته ، والعدل سيرته ، والحق شريعته . والذي هديت به بعد ضلالة ، وجمعت به بعد فرقة ، وألفت به قلوبًا متفرقة ، وأمماً مختلفة ، وجعلت أمته خير أمة أخرجت للناس .

أما بعد : فإنه بعد الرجوع إلى كثير من الكتب وانتقائها من شتى مصنفاتها التي تذخر بها المكتبات العربية ، والتي تعتبر المعين الزاخر التي استقى من جداولها الثرة جمهرة العلماء . فقد جمعت هذا الكتاب الذي يحوي بين طياته على ثلاثة فصول هي كالتالي :

يعرض الفصل الأول : أصل من أصول الإسلام هو «الولاء والبراء» ، وهما مظهران من مظاهر المحبة لله ، ثم لأنبيائه وللمؤمنين . والبراء مظهر من مظاهر كراهية الباطل وأهله . إن المحبة في الله هي أوثق عرى الإيمان ، وإن الطريق الموصّل إليها وإلى موالاة الله عز وجل هو : «إتباع شرعه الذي جاء به رسول الله ﷺ» . وأنه لا حياة شريفة إلا في ظل هذا الدين الحنيف

بالعودة إلى ينباعه الصافية كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . وفهم العقيدة الصحيحة وسيرة سلف الأمة وإدراك معنى الدين . وعلى المسلمين الاستعلاء بأنفسهم وعقيدتهم من كيد الكائدين وأنهم مفتقرون إلى عون الله لهم .

إن حاجة المسلمين ماسة إلى أن يعودوا إلى تحقيق الموالاة فيما بينهم والمعاداة مع أعدائهم ، حيث تداعت عليهم قوى الكفر والظلم من كل حذب وصوب ، ورميها لهذا الدين الحنيف بالقصور والجمود والتعصب والتخلف قاتلهم الله . إن الإسلام يوجب على المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعاً على أساس الإسلام ، وإن الموالاة هي المحبة قولاً ، وفعلًا ، واعتقاداً ، وإن محبة الله واجبة ولا تتحقق إلا بحب ما يحبه الله ويرضاه من : الأقوال ، والأفعال ، والأشخاص . وأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . وهناك بعض الموالاة بمعنى المسامحة والمسالمة وتبادل المصالح مع عدم الرضا عن حالة غير المسلمين وكفرهم . إن نصوص الكتاب والسنة لم تذكر إباحة تولي الكفار أو موالاتهم سوى في حالة الإكراه . والتسامح الذي أقره الإسلام ضمن حدود معينة مع غير المسلمين ، ينبغي أن لا يكون على حساب إضعاف تميز المسلم في تصوره الاعتقادي و نظامه الاجتماعي .

وإن من مقتضيات الولاء « الحب » والبراء « البغض » ، وقد ينشأ عنها من أعمال الجوارح ما يؤيد صدق ذلك الحب والمشتمل على : (حب الله ورسوله ، وحق المسلم على المسلم من مودة ، ونصرة وإيثار ، وقضاء حاجات وذكر محاسن ، والعفو عن هفوة الأخ والكف عن عثرته ،

والدعاء للإخوان بالنصر والتمكين و بعد مماتهم بالمغفرة والرضوان ...)
الخ .

والهجرة مبنية على النية كما قال ﷺ : ((إنما الأعمال بالنيات وإنما
لكل امرئ ما نوى ...)) الحديث . والهجرة معناها الانتقال من مجتمعات
الكفر والشرك إلى مجتمعات الإيمان .

أما الجهاد في سبيل الله فهو الفاصل بين الحق والباطل ، والجهاد لغة
المشقة ، وشرعاً بذل الجهد في قتال الكفار . ويطلق على مجاهدة النفس بتعلم
أمور الدين ثم العمل بها ثم تعليمها . فالدين الإسلامي يبدأ بدعوة الناس إلى
الخير وجدالهم بالتي هي أحسن .

أما الفصل الثاني فيعرض : الانتماء إلى الوطن والوطنية ، وحب
الأمة يماثل حب الأهل . وحب الوطن إنما يتولد من توسع نطاق حب الأهل ،
وتوسع دائرة حب الوطن . ولا شك أن الوطنية هي حب الوطن والإنسان
يحب وطنه تحت تأثير النزعة الوطنية . فيشعر نحوه بتعلق قلبي عميق فيفرح
لسعادته ويفجع عند نكبته ، ويسعى لخدمته ويضحى في سبيل دينه ووطنه
حتى ولو كانت حياته لما من شأنه عزة الإسلام والمسلمين .

فصفة الوطنية لا تستدعي فقط أن يطلب الإنسان حقوقه الواجبة له
على الوطن بل يجب أن يؤدي الحقوق التي للوطن عليه . فإذا لم يوف أحد
من أبناء الوطن بحقوق دينه ووطنه ضاعت حقوقه التي يستحقها على وطنه .

وإن أهم وأعم الميول النفسية التي تعارض الانتماء للدين وللوطن هي « الأنانية » لأنها توجه النفوس نحو المصالح والملذات الذاتية . على حين أن الانتماء للإسلام وللوطن « الوطنية » على العكس من ذلك تعود إلى « الإيثار والتضحية » في سبيل الدين والوطن ، بل تعادي جميع الفضائل والنزعات الأخلاقية على اختلاف أنواعها غير أن هناك بعض النزعات التي تعادي الانتماء للدين وللوطن ، ومنشأ هذه النزعات الآراء والمذاهب الفلسفية والاجتماعية .

والعالم مبتلى بدعوات هدامة منها الإلحاد والعلمنة بسبب مكرها تصدعت الأمم والشعوب . إن ما جاء في القرآن الكريم لو طبق فسوف تتحقق عدالة اجتماعية ليس بعدها عدالة .

لقد كان لكل أمة رسول ، ولكل قوم نبي ، فكان لا بد من نبي واحد لكل الناس والأجناس والألسن ، فبعث الله سيد الخلق رسول الله ﷺ ليكون بشيراً ونذيراً للعالمين . ويبدأ صوت الحق يعلو ، وأصبحت الدعوة تسير في الأرض وتتناقلها الدنيا . ويبدأ الصراع بين المسلمين والمشركين ثم يمتد حتى شمل فارس وشرقاً من دولة الروم . إنه صدام لم تكن القوميات فيه متحاربة ، ولم يكن العرب في وضعهم دعاة عنصر وأهل تعصب وإنما حملة هداية ورسول خير . يريدون أن تهتدي البشرية على أيديهم برسالة السماء وتنقذها من ظلامها بنور القرآن الكريم . ويلتقي الإسلام بهم جميعاً فإذا هم في الله متحابون .

حتى وصل المسلمون على قمة الزمن يشيرون الناس إلى درب الخلاص وطريق النجاة عدة قرون . فلما ابتعدت الأمة عن تعاليم دينها . سارت في طريق الهبوط حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من جمود عقلي ، وانحدار سياسي ، وتأخر اقتصادي ، والتفكك إلى دويلات .

إن ما عملته الأمة المسلمة يوم استنارت بنور الله فكان الإسلام مبدأها ، والقرآن ميثاقها ، والسنة طريقها استولت على الدنيا لا مستعمرة ولا غازية ولكن محضرة ومعلمة . ولكن في ظل الدعوة إلى القومية التي تحصر الولاء في دائرة الجنس والتراب ، ماذا ربحنا منها ، ألم تستمر التجزئة ، ألم تثبت الفرقة .

لقد أراد المستعمر للكثير من الدول الإسلامية والعربية أن يصرف بعض شباب الأمة عن سر عظمتهم ومكمن قوتهم ، فأوعز لبعضهم فكرة القومية العربية التي تعترف بالعنصر . وركز في الأذهان أن الإسلام يجب أن يفصل عن الحياة ، وأن الدعوة إليه رجعية لا تتفق مع الإنسان المتحضر . ونجح في بث سمومه لينزع الولاء الإسلامي ليحل محله انتشار بعض المذاهب اللادينية لمحو شريعة الله من الأرض وتشتيت ولاء المسلمين . وأدرك أعداء الإسلام مدى جدوى وفاعلية ذلك ، فبدؤوا فكرة القومية ، مبتدئين بتركيا وتتركها ، وكان مؤشر للعرب أن يتحدوا في قومية جديدة .

إن الانتماء الأكبر للإسلام وأمته ، وإلى دار الإسلام وحضارته لا ينكر وجود انتماءات ثانية . وإذا كانت دار الإسلام هي الوطن الأكبر للمسلم ، فإن هذا لا يعني انتفاء حب المسلم لوطنه الأصغر الذي نشأ فيه .

وكذلك الحال مع دائرة الوطن والإقليم أي الوطن القومي ، وكلمة قوم التي اشتقت منها القومية ، وسمات القومية هي التي تحدد اللغة دائرتها وخريطتها . فالقومية في الرؤية الإسلامية هي الدائرة اللغوية في إطار الانتماء الإسلامي الأكبر ، وعالمية الإسلام لابد أن تشمل أقواماً تميزهم باللغات . وفي دائرة الأمة الإسلامية والانتماء الإسلامي قوميات سيحتضن محيطه الجزر القومية في عالم الإسلام . فالقومية العربية واعتماد العربية كلغة معياراً لتحديد العربي و « القوم العرب » سيدخل العروبة في النسيج الإسلامي لأن اللغة العربية لسان الإسلام وخاصة الإعجاز القرآني .

إن التشديد على دائرة الوطنية سواء كانت عربية أو غير عربية مع إسقاط الدائرة الإسلامية هو مفهوم عنصري لمصطلح القومية ، طراً علينا من المفاهيم القومية الغربية . وإذا اعتمد على علاقة الأخص بالخاص والعام بالأعم لدوائر الوطنية والقومية والجامعة الإسلامية والإنسانية . انتفت هذه التناقضات . وذلك بإحلال منهاج الفطرة السليمة محل المفاهيم العنصرية الطارئة على حياتنا الفكرية العربية الإسلامية .

أما الدولة فتعرف من أنها جماعة بشرية تكاملت لها خصلتان : رابطة للتضامن وتنظيم سياسي متكامل ، وشخص معين يرمز إلى مجموعة شعب مستقر على إقليم معين حاكماً ومحكومين ، بحيث يكون له سلطة سياسية ذات سيادة ، فإنه يكون للدولة الأركان الأساسية التي تتكون من : الشعب ، الإقليم الأراضي والمائي والجوي ، الحكومة وهي سلطة سياسية يخضع لها الشعب

تقوم بالوظائف التنفيذية والتشريعية والقضائية حتى تتأكد لها السلطة العليا التي لا تتازع ، وإلزام الأفراد بإطاعتها وتنفيذها .

لا شك أن أصل الدولة ونشأتها يعود إلى « التطور العائلي الذي يقوم على أساس أن العائلة هي أصل المجتمع » . أي الدولة أسرة تطورت بارتباط أكثر من عائلة فتكونت عشيرة ، وتطورت فتكونت القبيلة حتى وصل التطور إلى الدولة . وقيام الدولة بتنظيم سياسي يرجع إلى الأسرة وإرجاع أساس السلطة في الدولة إلى سلطة رب البيت . إلا أن سلطته تزول بزواله أو باستقلال أفراد الأسرة عنه . إلا أن السلطة السياسية في الدولة تعتبر سلطة دائمة عن أشخاص يمارسونها . ووفقا للقانون الدولي تنشأ الدولة باكتمال العناصر المكونة لها من : إقليم ، ورعايا ، وحكومة واعتراف بقية المجتمع الدولي بها . وسيادة الدولة تعبير عما تملكه من سلطات عليا ومطلقة تمارسها الدولة على رعاياها . ويجب أن يكون للدولة قوة رادعة تمنع الاعتداء عليها ، وتستخدمها لتحقيق مصالحها وأهدافها الوطنية ، وليكون لها تأثير استراتيجي في البيئة الإقليمية والدولية .

ويعرض الفصل الثالث : الأسس التي قام عليها الحكم السعودي : محاربة البدع في الدين وتطبيق الشريعة الإسلامية في كل أمور الحياة وذلك في ظل دولة قادرة على تحقيق تلك الأهداف . هذه الدولة التي قامت على أساس ديني ، ولم تقم على عصبية قبلية وحدث معظم مناطق الجزيرة العربية في دولة لم ير لها مثيل من قبل باستثناء فترة قصيرة من فجر التاريخ الإسلامي .

ويعرض **الفصل الرابع** : بعض مقتضيات الولاء والبراء والانتماء منها : منهج الإسلام الأخلاقي وحرصه على أن يكون فعل الخير والتزام الفضائل ، وترك الشر وهجر الرذائل خالصًا لوجه الله جل وعلا . ومن هنا نرى الإسلام أول داع إلى الخير لذات الخير ، وللفضائل لأنها فضائل ، وأن دعوته تقوم على إعداد خاص يطهر النفس ويزكيها . وقد عبر رسول الرحمة ﷺ عن ذلك بقوله : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) . وفي كل آية من القرآن الكريم يرشد إلى نمط من أنماط مكارم الأخلاق .

« فالفقر » خلق يسمو بصاحبه عن الانتقام ، وخلة تؤثر الرحمة على العقاب وتحل المودة والوئام محل الخصام . والرحمة من أشرف الخصال وإن الله عز وجل لا يحب شيئًا مثلما يحب الرحمة والتواضع ، ولا يكره شيئًا مثلما يكره القسوة والكبرياء . وكذلك « العدالة » فهي صفة إنسانية تتفاضل وتتفاوت تبعًا لأسبابها ومقوماتها في النفس الإنسانية . وليست فضيلة العدالة بالفضيلة التي يسهل الحصول عليها ، ولا بد من الحصول عليها من منبت شريف زكي وورثة نقية من الشوائب وهمة نزاعة إلى المعالي ، أما الظلم وضعف شأنها يكون بالشهوات المتحكمة والأهواء المتردية . وإنه كلما كان « الترف » المردي كانت القوى المنحلة ، وكلما كانت الإرادة القوية ، والعزيمة الصادقة والإخلاص كان النصر المبين والتأييد من رب العالمين .

إن أركان الإسلام ومبادئ الأخلاق حددها رسول الله ﷺ موضحة الغاية الأولى من بعثته ، والمنهاج المبين في دعوته والعبادات التي شرعت في الإسلام ليست طقوسًا مبهمه . فالصلاة الواجبة عندما أمر الله بها أبان الحكم من شتى الطبقات ، والصوم لم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من

الأطعمة والأشربة بل اعتبر خطوة إلى حرمان النفس من شهواتها ، وكذلك الحج الذي كلف به المستطاع لم يكن رحلة مجردة عن المعاني الخلقية . هذه العبادات هي أركان تربط الدين بالخلق .

أما عن « القيم » فإن تصور الإسلام الشامل لها ، واستيعابه للزمن والحياة وكيان الإنسان ، أوضح أن الشمول أحد الخصائص التي تميز بها عن كل ما عرفته الناس من الأديان والفلسفات والمذاهب . فالإسلام وهو يتولى تنظيم الحياة الإنسانية جميعاً لم يعالج نواحيها المختلفة جزافاً ، ولم يتناولها أجزاء . بل يمتاز بتناسق عجيب بين عقائده وعبادته ، وبين ما يشرعه من المعاملات والحقوق وما يحبذه ويأمر به من الأخلاق والآداب . هذا التصور يلتمس في أصول التشريع الإسلامي « القرآن والسنة » وما انبثق عنهما من إجماع وقياس . فهو دين جاء لينقذ الإنسان فيه القيم التي قررها الله له .

الإسلام نظام اجتماعي متكامل الجوانب لجميع البشر في جميع أعصارهم ومواطنهم ، وحريص على إصلاح سريرة الإنسان وسلوكه على السواء فهو دين عبادة يرعى صلة العبد بربه ، ودين حياة وسلوك فمنطق الإسلام جعل المسلمين أمة واحدة مترابطة الأجزاء ، في حين ينظم مجتمعهم بما يكفل سلامة البناء ، فالمسئولية في الإسلام تعتبر الفرد مسئولا عن ذاته ، تليها مسئولية الأسرة عن أفرادها والجماعة عن توجيه الأسر الذين يشكلون الجزئيات لذلك المجتمع الكبير . والدولة بأنظمتها مسئولة عن استقامة الأفراد وسلامة الأسر وأمن الجماعة بتنفيذها الشرائع وإقامة الأحكام .

إن تطبيق الشريعة الإسلامية يستلزم وجود الهيئات التي تقوم بتطبيقها، فدور العلماء والدعاة هو أحد أهم اللبئات في المجتمع الإسلامي ، فثم القائمون

على تفسير الشرع وتوجيه الناس ، ونصح الولاة والحكام فمكانة العلماء والدعاة إنما يستمدونها مما أفاء الله سبحانه وتعالى به عليهم من علم وبما وفقهم في الدين . وما مسئولية العلماء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا صدى لإتمام القرآن والسنة بهذه المسئولية ، وأن ممارستها تحتاج إلى جهد وصبر دائبين . لهذا تركز اهتمام العلماء المسلمين على بيان وجوب هذه الفريضة ، وخطورة التهاون في القيام بها .

كرم الله تعالى الإنسان ، فتوافد على هذا المخلوق المتميز بالعقل أنبياء الله ورسله ، حتى كانت الرسالة الخاتمة ، ورضي لنا الإسلام ديناً . وأقر الإسلام حق الفرد في أن يكون له رأي يعلنه وهو متميز بالعقل أجل نعمة منحت له . وجاء الإسلام ديناً يخاطب العقول ، ولو شاء الله لأنزل على الناس ما يضطر إلى الإيمان قهراً ، ولكنه سبحانه لا يريد من أحد إلا الإيمان الاختياري . والنبي يحتكم إلى منطق العقل ، وهو يدرك أن العقول التي يخاطبها لو تجردت عن الهوى فستسلم لدعوته . وأنه لا يجوز بدعوى حرية الرأي أن يهدم كيان المجتمع ويخوض في سير الناس وأعراضهم وبث الشائعات بل يجب أن يرد الأمر لأولي الأمر ، فهم الأقدر على استنباط الأمور . وأن هناك ضوابط لحرية الرأي فالكلمة أمانة وهي ملك لصاحبها مادامت حبيسة نفسه فهو يملكها ، فإن نطق بها صارت حجة عليه .

وحقوق الإنسان لها مكانة سامية في الإسلام ، ويتفرع عنها كل ما على الإنسان من واجبات وما له من حقوق . والرسالة الإسلامية موجهة لكافة الناس أينما كانوا في بقاع العالم ومهما اختلفت أجناسهم وأعراقهم وتباعدت بلادهم أخوة في الدين . وكان للشرعية الإسلامية فضلها الذي لا ينكر حتى

من أعدائها في ترسيخ دعائم الحق ونشر العدالة التي أنقذت الإنسانية من مخالب الجهالة والضلالة . وبهذا التشريع الرباني المحكم أقر الإسلام حقوق الإنسان ، وشرع الحدود عقوبة عليها . وأن السمع والطاعة لولاة الأمر أصل من أصول العقيدة إذ بالسمع والطاعة لهم تنظيم مصالح الدين والدنيا معاً ، وبالإفتاء عليهم قولاً وفعلًا فساد الدين والدنيا وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه دين جماعة ، ولا جماعة إلا بإمامة ، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة .

والبيئة تطلق على المكان أو الحالة ، وهي الإطار الذي يمارس الإنسان حياته منه مثل الهواء والماء والأرض ، وتشمل عناصر الثروة مثل الزراعة ، والمصانع ، والمعادن ، والبترول . فالسماء رفعها الله وزينها بالنجوم وجعلها سقفا مرفوعا ، ومن آثارها الغلاف الغازي المحيط بالأرض يحميها ويحفظها في درجة حرارة مناسبة . وهو الوسيط الذي يحمل بخار الماء ليكتف منه المطر ، يستنشق الإنسان الأوكسجين . والأرض أم رؤوم خلقنا منها ونأكل من خيراتها ، وندفن بين أحضانها . إن الإسلام نظام أخلاقي متكامل للتعاون على البر والتقوى ، وسلامة البيئة . فكان الفرد المسلم عضواً في المجتمع يهتم بأمور الناس ويحرص على سلامتهم ، وأمور بالأمانة والصدق والصبر . كل هذه تهتم في تكامل شخصيته ودوره في خدمة المجتمع ، والتعاون على النظافة والرعاية الصحية والثقافية والاجتماعية . مما يمتد لسلامة البيئة وحسن تأهيلها إلى العمل النافع ، والسلوك الحضاري المذهب .

لقد استطاع الإنسان بالإسلام ، أن يقدر دوره في الفعل الحضاري وينظر إليه كقيمة بالتفكير الذي يمكنه من التبصر وتقدير العواقب . ومن التعامل مع المتاح ومن خلال رؤية شمولية تستصحب الزمن بأبعاده الثلاثة الماضي ، الحاضر ، والمستقبل لقد أصبح المسلم يستشعر قيمة الزمن ، بعد أن كان قبل الإسلام كلا مستسلما للنظرة الدهرية وأدخل في حساب المسلم ، من خلال ملاحظات المظاهر الكونية . وربط أداء العبادات التي تمثل أركان الإسلام وتقيم بناءه الزمن والأزمنة المتميزة للفعل وبركة الإيمان . لقد اعتنى القرآن الكريم بالوقت ، مما يدل على قيمة الوقت وأهميته في حياة المسلمين ، ويحذر المفرطين في أوقاتهم ، فالدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل .

بعث الله تعالى رسوله ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الحق واليقين ، فسعدت الإنسانية بهديه وازدادت فخراً . مما قلل من شأن التفاخر بالأنساب وجعل التقوى مكرمة للإنسان . إذ الفضل الحقيقي هو إتباع ما بعث به محمداً من الإيمان والعلم ، فكل من كان فيه أمكن كان أفضل ، لا بمجرد الإنسان عربياً أو عجمياً أو أسود أو أبيض ، وأصبح الأكرم هو الأتقى . ومعرفة أنساب الأمم مما افتخر به العرب لأنها احتُرزت على معرفة الأنساب اسم العلم فهو علم فاضل . فمعرفة النسب وسيلة للتعارف الذي ينتج عنه التقارب . وأداء الحقوق ، والأقربون أولى بالمعروف . والله الموفق .